

خلافة الحسن بن علي ؑ وزواجه

بعد أن قتل «علي بن أبي طالب» ؑ على يد «عبد الرحمن بن ملجم» المرادي، أشقى الآخرين، عليه لعنة الله إلى يوم الدين، ببيع لابنه «الحسن بن علي» ؑ بالخلافة، وقيل: إن أول من بايعه «قيس بن سعد»، قال له: ابسط يدك أبياعك على كتاب الله ﷻ، وسنة نبيه ﷺ، وقتال المُحِلِّين، فقال له «الحسن» ؑ: على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؛ فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط؛ فبايعه وسكت، وبايعه الناس. وذكره «أبو جعفر الطبري» في تاريخه: أن بعد استخلاف أهل العراق للحسن ؑ، كان لا يرى القتال مع «معاوية» ولكنه كان يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من «معاوية» ثم يدخل في الجماعة، وعرف «الحسن» ؑ - أن «قيس بن سعد» لا يوافقه على رأيه، فزعه وأحلَّ «عيد الله بن عباس» محله.

وبعد أن بايع الناس «الحسن» ؑ بالخلافة، خرج بالناس حتى نزل المدائن، وكان نزوله فيها في المقصورة البيضاء، وكان عم «المختار بن أبي عبيد» عاملاً على المدائن، واسمه «سعد بن مسعود»، فقال له المختار، وهو غلام شاب: هل لك في الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: توثق «الحسن»، وتستأمن به إلى «معاوية»، فقال له «سعد»: عليك لعنة الله، أثب على ابن بنت رسول الله ﷺ فأوثقه؟ بنس الرجل أنت! فلما رأى «الحسن» ؑ - تفرق الأمر عنه، بعث إلى «معاوية» يطلب الصلح، ويبعث «معاوية» إليه «عبد الله بن عامر» و«عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس» فقدموا على «الحسن» ؑ بالمدائن، فأعطياه ما أراد، وصالحاه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف في أشياء اشترطها.

ثم قام «الحسن» ؑ في أهل العراق فقال: يا أهل العراق! إنه سَخَى بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهابكم متاعي، وكانوا قد

نهبوا سرادقه ونازعوه بساطاً كان تحته.

ودخل الناس في طاعة «معاوية»، ودخل «معاوية» الكوفة، فبايعه الناس. وكان «الحسين» عليه السلام، قد ناشد أخاه «الحسن» عليه السلام ألا يركن إلى «معاوية» وألا يصدقها، إلا أن «الحسن» قال له: اسكت، فأنا أعلم بالأمر منك^(١).

وقال «ابن عبد ربه الأندلسي» في «عقدة الفريد»: وَقَدْ «الحسن بن علي» على «معاوية»، فقال «عمرو» لمعاوية: يا أمير المؤمنين! إن «الحسن» لَفَقَّ، فلو حملته على المنبر، فتكلّم، وسمع الناس كلامه عابوه، وسقط من عيونهم، ففعل، فصعد المنبر، وتكلّم وأحسن، ثم قال: أيها الناس! لو طلبتم ابناً لنبيكم ما بين لابتيها لم تجدوه غيري وغير أخي، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين، فسأ ذلك «عمرأ»، وأراد أن يقطع كلامه، فقال له: أبا محمدا! أتصف الرطب؟ فقال: أجل، تلحقه الشّمال، وتخرجه الجنّوب، وتنضجه الشمس، ويصبغه القمر^(٢).

وقال ابن عبد ربه: بينما «معاوية بن أبي سفيان» جالس في أصحابه إذ قيل له: «الحسن» بالباب؛ فقال «معاوية»: إن دخل أفسد علينا ما نحن فيه؛ فقال له «مروان بن الحكم»: ائذن لي، فإني أسأله ما ليس عنده فيه جواب.

قال «معاوية»: لا تفعل، فإنهم قوم قد ألهموا الكلام، وأذن له. فلما دخل وجلس، قال له «مروان»: أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن ويقال: إن ذلك من الخرق، فقال «الحسن»: ليس كما بلغك، ولكننا - معشر بني هاشم - أفواهنا عذبة شفاهها، فنساؤنا يُقْبَلْنَ علينا بأنفاسهن وقُبِلِهِنَّ، وأنتم معشر بني أمية فيكم بَخَرٌ شديد، فنساؤكم يصرفن أفواههن وأنفاسهن عنكم إلى أصدائكم، فإنما يشيب منكم موضع العذار من أجل ذلك. قال «مروان»: إن فيكم يا بني هاشم خصلة سوء؛ قال: وما هي؟ قال: الغُلْمَة؛ قال: أجل، نزعت الغُلْمَة من نساؤنا ووُضِعَتْ في رجالنا، ونزعت الغُلْمَة من رجالكم ووُضِعَتْ في نساؤكم، فما قام لأُمُويَة إلا هاشمي، فغضب «معاوية»، وقال: قد كنت أخبرتكم فأبيتهم حتى

(١) تاريخ الطبري (١٥٨/٥ - ١٦٣) بتصرف يسير.

(٢) العقد الفريد (١٩/٤).

سمعت ما أظلم عليكم بيتكم، وأفسد عليكم مجلكم، فخرج «الحسن»، وهو يقول:

ومارست هذا الدهرَ خمسين حجةً وخمساً أزجي قائلاً بعد قائلٍ
فلا أنا في الدنيا بلغتُ جسيمها ولا في الذي أهوى كدحت بطائلٍ
وقد شرعتُ دوني المنايا أكفها وأيقنتُ أنني رهن موتٍ معاجلٍ^(١)

وكانت للحسن عليه السلام مناقب كثيرة، وكفاه من الفخر أن يشهد له ولأخيه «الحسين» عليه السلام جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله أنهما سيدا شباب أهل الجنة، وأنهما ريحانتاه من الدنيا، كما وصف النبي صلى الله عليه وآله «الحسن» عليه السلام أنه سيد يصلح الله به بين فئتين، فقد روى «المحب الطبري» في ذخائره، عن أبي بكر، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي بنا، وكان «الحسن» عليه السلام يجيء وهو صغير، فكان كلما سجد رسول الله صلى الله عليه وآله وثب على رقبته وظهره، فيرفع النبي صلى الله عليه وآله رأسه رفعا رفيقا حتى يضعه فقالوا: يا رسول الله! رأيناك تَضَعُ بهذا الغلام شيئا ما رأيناك تصنعه بأحد، قال: «إنه ريحانتي من الدنيا، إن ابني هذا سيد، وعسى أن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين»، خرجه أبو حاتم، وفي رواية السلفي: «إن ابني هذا سيد وإن الله يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين»^(٢). وكان أشبه الناس بجده صلى الله عليه وآله.

وكان «الحسن» عليه السلام ذا مناقب فذة، ومآثر فريدة، كان فيها منقطع القرين، فقد ورث الكرم والجود عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله، أكرم الناس، وكان يكره الدخول في الفتن، ويبغض إراقة الدماء، وكان الحلم شيمته، والوقار حليته، موفور العقل، حسن الفهم، نافذ البصيرة، صاحب فصاحة وبيان، فقد أخرج «أبو نعيم» في حلية الأولياء عن شعبة بن الحجاج، عن أبي إسحاق همداني، عن الحارث، قال: سأل «علي» عليه السلام ابنه «الحسن» عليه السلام عن أشياء من أمر المروءة، فقال: يا بني ما السداد؟ قال: يا أبت! السداد دفع المنكر بالمعروف، قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشرة، وحمل الجريرة، قال: فما المروءة؟ قال: العفاف وإصلاح المال، قال: فما الرأفة؟ قال: النظر في اليسير، ومنع الحقير، قال:

(١) العقد الفريد (١٩/٤ - ٢٠).

(٢) ذخائر العقبى، ص: ١٢٥، وحلية الأولياء (٤٠/٢).

فما اللؤم؟ قال: إحراز المرء نفسه وبذله عرسه، قال: فما السماح؟ قال: البذل في العسر واليسر، قال: فما الشح؟ قال: أن ترى ما في يديك شرفاً، وما أنفقتَه تلفاً، قال: فما الإخاء؟ قال: المواساة في الشدة والرضاء، قال: فما الجبن؟ قال: الجرأة على الصديق، والنكول عن العدو، قال: فما الغنيمة؟ قال: الرغبة في التقوى، والزهادة في الدنيا هي الغنيمة الباردة، قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ، وملك النفس، قال: فما الغنى؟ قال: رضا النفس بما قسم الله تعالى لها وإن قلَّ، وإنما الغنى غنى النفس، قال: فما الفقر؟ قال: شره النفس في كل شيء، قال: فما المنعة؟ قال: شدة اليأس، ومنازعة أعزاء الناس، قال: فما الذل؟ قال: الفزع عند المصدوقة، قال: فما العي؟ قال: العبث باللحية، وكثرة البزق عند المخاطبة، قال: فما الجرأة؟ قال: موافقة الأقران، قال: فما الكلفة؟ قال: كلامك فيما لا يعينك، قال: فما المجد؟ قال: أن تعطي في الغرم، وتغفو عن الجرم، قال: فما العقل؟ قال: حفظ القلب كل ما استوعبته، قال: فما الخرق؟ قال: معاداتك إمامك، ورفعك عليه كلامك، قال: فما السناء؟ قال: إتيان الجميل، وترك القبيح، قال: فما الحزم؟ قال: طول الأناة، والرفق بالولاية، قال: فما السفه؟ قال: اتباع الدناة، ومصاحبة الغواة، قال: فما المفضلة؟ قال: ترك المُجِدِّ، وإطاعتك المفسد، قال: فما الحرمان؟ قال: تركك حظك وقد عرض عليك، قال: فما السيد؟ قال: الأحق في ماله، والمتهاون في عِرضه، يشتم فلا يجيب، والمتحزّن في أمر عشيرته هو السيد، فقال «عليّ»: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل»^(١).

وأخرج «أبو نعيم» في حليته أيضاً: عن شعبة، قال: سمعت يزيد بن خمير يحدث، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير، عن أبيه، قال: قلت للحسن: إن الناس يقولون: إنك تريد الخلافة؟ فقال: قد كانت جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت، ويسالمون من سالمته، فتركتهما ابتغاء وجه الله، وحقن دماء أمة «محمد» ﷺ.

وعن الشعبي، قال: شهدت «الحسن بن علي» حين صالحه «معاوية»

(١) حلية الأولياء (٢/٤٠ - ٤١) ومجمع الزوائد (١٠/٢٨٣) وكتر العمال (١٦/٤٤٢٣٧).

بالنخيلة، فقال «معاوية»: قم فأخبر الناس أنك تركت هذا الأمر، وسلّمته إليّ، فقام «الحسن» فحمّد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن أكيس الكيس التقي، وأحمق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا و«معاوية»، إما أن يكون حق امرئ فهو أحق به مني، وإما أن يكون حقاً هو لي فقد تركته إرادة إصلاح الأمن وحقن دماؤها، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين.

وعن أحمد بن محمد بن الحارث بن خلف؛ أبي بكر: ثنا أحمد بن محمد بن سعيد، ثنا محمد بن أحمد بن الحسن، سمعت أبان بن الطفيل، يقول: سمعت «عليّاً» يقول للحسن: كن في الدنيا بيدك، وفي الآخرة بقلبك^(١).

وذكر «أبو نعيم» أيضاً: أن «الحسن بن علي» قاسم الله ﷻ ماله مرتين حتى تصدق بفرد نعله، رواه عن شهاب بن عامر.

وعن علي بن زيد بن جدعان، قال: خرج «الحسن بن علي» من ماله مرتين، وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات حتى إنه كان ليعطي نعلًا، ويمسك نعلًا، ويعطي خفًا ويمسك خفًا^(٢).

وسأله رجل صدقة، ولم يكن عنده ما يسد به رمقه، فاستحى أن يرده، فقال له: ألا أدلك على شيء يحصل لك منه البر؟ قال: بلى، فما هو؟ قال: اذهب إلى الخليفة فإن ابنته توفيت، وانقطع عليها، وما سمع من أحد تعزية، فعزّه بقولك له: «الحمد لله الذي سترها بجلوسك على قبرها، ولا هتكها بجلوسها على قبرك».

فذهب الرجل، وفعل ما قال له، فذهب عن الخليفة حزنه وأمر له بجائزة، وقال له: أكلامك هذا؟ قال: لا، بل كلام فلان، قال: صدقت، فإنه معدن الكلام الفصيح، وأمر له بجائزة أخرى^(٣).

وله في الجود والسخاء قصص لا تكاد تصدق، وليس لأحد أن ينفيها أو

(١) حلية الأولياء (٤١/٢).

(٢) حلية الأولياء (٤٢/٢).

(٣) الحسن والحسين، لمحمد رضا، ص: ٢٩.

يتعجب منها، وصاحبها ابن ابنة رسول الله ﷺ، وقد كان ﷺ يجيز الرجل الواحد بمائة ألف، فأنعم بتلك الذرية الطيبة الطاهرة!.

وذكر «ابن عبد ربه» في عقده الفريد: وقال «معاوية» يوماً لجلسائه: مَنْ أكرم الناس أباً وأمّاً، وجدّاً وجدة، وعمّاً وعمّة، وخالاً وخالة؟

فقالوا: أمير المؤمنين أعلم، فأخذ بيد «الحسن بن علي» وقال: هذا، أبوه «علي بن أبي طالب»، وأمه «فاطمة بنت محمد ﷺ»، وجده رسول الله ﷺ، وجدته «خديجة»، وعمته «هالة بنت أبي طالب»^(١)، وخاله «القاسم بن محمد»، وخالته «زينب بنت محمد ﷺ»^(٢).

وجاء في «تاريخ الخلفاء للسيوطي» قوله: «الحسن بن علي بن أبي طالب» ﷺ: «أبو محمد»، سبط رسول الله ﷺ وريحانته.

ثم ذكر «السيوطي» ما أخرجه «ابن سعد» في طبقاته عن «الحسن» و«الحسين» ﷺ، فقال: أخرج «ابن سعد»، عن عمران بن سليمان، قال: الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة، ما سمعت العرب بهما في الجاهلية.

وعن عبد الله بن الزبير، قال: أشبه أهل النبي ﷺ به، وأحبهم إليه «الحسين بن علي»، رأيته يجيء وهو ساجد، فيركب رقبته - أو قال: ظهره - فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيته وهو راكم، فيفرج له بين رجله حتى يخرج من الجانب الآخر.

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: كان رسول الله ﷺ يذُلُّ لسانه للحسن بن علي، فإذا رأى الصبي حمرة اللسان يَهْشُ إليه.

وعن عمير بن إسحاق، قال: ما تكلم عندي أحد كان أحب إذا تكلم ألا يكلم من «الحسن بن علي»، وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة، فإنه كان بين «الحسن» و«عمر بن عثمان» خصومة في أرض، فعرض «الحسن» أمراً لم يرضه «عمر»، فقال «الحسن»: فليس له عندنا إلا ما رغم أنفه، قال: فهذه أشد

(١) ليس في بنات أبي طالب «هالة» ولعلها أم هانئ (الطبقات ٨/٢٦٧).

(٢) العقد الفريد (٥/٨٧).

كلمة فحش سمعتها منه.

وعن عمير بن إسحاق، قال: كان «مروان» أميراً علينا، فكان يسبُّ «علياً» كل جمعة على المنبر، و«حسن» يسمع فلا يرد شيئاً، ثم أرسل إليه رجلاً، يقول له: بِعَلِيٍّ وَبِعَلِيٍّ وَبِعَلِيٍّ، وبِكَ وبِكَ، وما وجدت مثلك إلا مثل البغلة، يقال لها: من أبوك؟ فتقول: أُمِّي الفرس.

فقال له «الحسن»: ارجع إليه فقل له: إني والله! لا أمحو عنك شيئاً ومما قلت بأن أسبِّكَ، ولكن موعدني وموعدك الله، فإن كنت صادقاً جزاك الله بصدقك، وإن كنت كاذباً فالله أشد نقمة.

وعن زريق بن سوار قال: كان بين «الحسن» وبين «مروان» كلام، فأقبل عليه «مروان» فجعل يغلظ له - و«الحسن» ساكت - فامتخط «مروان» يمينه، فقال له «الحسن»: ويحك! أما علمت أن اليمين للوجه، والشمال للفرج؟ أف لك! فسكت «مروان».

وعن أشعث بن سوار، عن رجل، قال: جلس رجل إلى «الحسن» فقال: إنك جلست إلينا على حين قيام منا، أفتأذن؟

وعن عمران بن عبد الله بن طلحة، قال: رأى «الحسن» كأن بين عينيه مكتوباً قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص، الآية: ١] فاستبشر أهل بيته، فقصّوها على «سعيد بن المسيب»، فقال: إن صدقت رؤياه فقل ما بقي من أجله، فما بقي إلا أيام حتى مات.

وقال العسكري عن «الحسن»: لم يكن هذا الاسم يعرف في الجاهلية.

وقال المفضل: إن الله حجب اسم «الحسن» و«الحسين» حتى سمى بهما النبي ﷺ ابنه.

وأخرج البخاري، عن أنس، قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من «الحسن بن علي». وأخرج البخاري عن ابن عمر، قال: قال النبي ﷺ: «هما ريحائناي من الدنيا»، يعني «الحسن» و«الحسين».

وأخرج الشيخان، عن البراء، قال: رأيت رسول الله ﷺ و«الحسن» على

عاتقه وهو يقول: «اللهم! إني أحبه» وكان شبيهاً بالنبي ﷺ، سماه النبي ﷺ «الحسن»، وعَقَّ عنه يوم سابعه، وحلق شعره، وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة، وهو خامس أهل الكساء.

وأخرج الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيदा شباب أهل الجنة».

وأخرج الترمذي عن أسامة بن زيد، قال: رأيت النبي ﷺ والحسن والحسين على وركيه، فقال: «هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم! إني أحبهما فأحبَّهما، وأحبَّ من يحبَّهما».

وأخرج عن أنس، قال: سئل رسول الله ﷺ: أي أهل بيتك أحب إليك؟ قال: «الحسن والحسين».

وأخرج الحاكم عن ابن عباس، قال: أقبل النبي ﷺ، وقد حمل «الحسن» على رقبته، فلقى رجل، فقال: نعم المركب ركبت يا غلام! فقال رسول الله ﷺ: «ونعم الراكب هو».

وأخرج الحاكم عن زهير بن الأرقم، قال: قام «الحسن بن علي» يخطب، فقام رجل من أزد شنوءة، فقال: أشهد، لقد رأيت رسول الله ﷺ واضعه في حَبْوَيْهِ، وهو يقول: «من أحبني فليحبه»، وليبلغ الشاهد الغائب، ولولا كرامة رسول الله ﷺ ما حدثت به أحداً.

وأخرج الحاكم، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: لقد حَجَّ «الحسن» خمساً وعشرين حجة ماشياً، وإن النجائب - خيار الإبل - لَتَقَادُ معه.

وقال له بعض أصحابه بعد تنازله لمعاوية: يا عار المؤمنين! فقال: العار خير من النار، وقال له رجل: السلام عليك، يا مُذِلَّ المؤمنين! فقال: لستُ بمذل المؤمنين، ولكنني كرهتُ أن أقتلكم على الملك.

وأخرج ابن عساكر، عن المبرد، قال: قيل للحسن بن علي: إن أبا ذر يقول: الفقير أحب إليَّ من الغني، والسقم أحب إليَّ من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذر! أما أنا فأقول: من اتَّكَل على حسن اختيار الله لم يَتَمَنَّ أنه في غير الحالة

التي اختارها الله له، وهذا حَدُّ الوقوف على الرضا بما تصرف به القضاء^(١).

وكان من أشهر أخباره التي اختلفت فيها الروايات، كثرة زيجاته، وطلاقاته، حتى إن أباه «علي بن أبي طالب» ضاق ذرعاً بتصرفاته تلك، وأهاب بالناس على المنبر ألا يزوجه، وقد روي أنه ربما طلق أربعاً في يوم واحد، وبنى بأربع غيرهن، وقد ذكر بعضهم أنه أخصن من النساء - أي: تزوج وجعلهن في حصن الزوجية - أكثر من مائتي امرأة، وهذا ما حدا ببعض المستشرقين لانتقاده، والله أعلم بصحة هذه المقولة.

وقد أخرج «أبو نعيم» في حليته: حدثنا سليمان بن أحمد، ثنا الحسين بن إسحاق، ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا عبد الأعلى هشام بن حسان، عن ابن سيرين، قال: تزوج «الحسن بن علي» امرأة فارس إلى مائة جارية مع كل جارية ألف درهم^(٢).

وعن سليمان بن أحمد، ثنا إسحاق بن إبراهيم، عن عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه، عن الحسن بن سعد، عن أبيه، قال: متَّع «الحسن بن علي» على امرأته بعشرين ألفاً، وزقاق من عمل، فقالت: إحداهما - وأراها الحنفية - متاع قليل من حيب مفارق^(٣).

وذكر «المصعب الزبيري» في كتابه «نسب قريش أن: «زيد بن الحسن»، و«أم الخير» أمهما: «أم بشر بنت أبي مسعود»؛ عقبه بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عميرة بن عطية الأنصاري؛ وأخوهما لأمه: «عمر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي، و«أم سعيد بنت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل».

و«عمرو بن الحسن» و«القاسم» و«أبا بكر»، لا عقب لهما، قتلا بالظَّفِّ و«عبد الرحمن» لا عقب له، أمه أم ولد.

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ١٦٦ - ١٦٩.

(٢) حلية الأولياء (٤٢/٢).

(٣) حلية الأولياء (٤٢/٢).

و«حسين بن الحسن» لأم ولد، انقرض.

و«طلحة بن الحسن» دَرَجَ، أمه «أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله» التيمي، وأختها أمه «فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب»، و«آمنة بنت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق».

و«أم عبد الله» و«أم سلمة» و«رقية» «بنات» «الحسن» لأمهات أولاد شتى^(١).

وأخرج ابن سعد، عن علي بن الحسين: قال: كان «الحسن مطلقاً للنساء، وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه، وأحصن تسعين امرأة.

وعن ابن سعد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: قال علي: يا أهل الكوفة! لا تزوجوا «الحسن» فإنه رجل مطلق، فقال رجل من همدان: والله! لنزوجه، فما رضي أمسك وما كره طلق.

وعن ابن سعد، عن عبد الله بن حسن، قال: كان «حسن» رجلاً كثيراً نكاح النساء، وكُنَّ قُلُماً يَحْطِئْنَ عنده، وكان قُلَّ امرأة تَزَوَّجَهَا، إلا أحبته، وصَبَتْ إليه.

وعن ابن سعد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: كان «الحسن» يتزوج ويطلق، حتى خشيت أن يورثنا عداوة في القبائل^(٢).

وكان من أشهر أزواجه اللائي دخل بهن، وورد اسمها في كتب السير امرأة يقال له «جعدة بنت الأشعث بن قيس» وجاءت شهرتها بسبب ما قيل عن أنها سَمَّتْه وكانت السبب الذي أفضى إلى وفاته، وقبل أن يجود ﷺ بأنفاسه سأله أخوه «الحسين بن علي» ﷺ عن اسم قاتله فأبى أن يسمي أحداً، وذهب بالسر معه.

قال «أبو نعيم» في الحلية: حدثنا محمد بن علي، ثنا أبو عروبة الحراني، ثنا سليمان بن عمر بن خالد، ثنا ابن علية، عن أبي عون، عن عمير بن إسحاق،

(١) نسب قريش، ص: ٤٩ - ٥٠.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص: ١٦٨.

قال: دخلتُ أنا ورجل على «الحسن بن علي» نعوذه، فقال: يا فلان! سلني، قال: لا، والله! لا نسألك حتى يعافيك الله، ثم نسألك، قال: ثم دخل، ثم خرج إلينا، فقال: سلني قبل ألا تسألني، فقال: بل يعافيك الله، ثم أسألك، قال: لقد لقيتُ طائفة من كبدي، وإني سقيت السم مراراً فلم أُسَقَ مثل هذه المرة، ثم دخلتُ عليه من الغد، وهو يجود بنفسه، و«الحسين» عند رأسه، وقال: يا أخي! مَنْ تهم؟ قال: لِمَ لتقتله؟ قال: نعم، قال: إن يكن الذي أظن فالله أشد بأساً وأشد تنكيلاً، وإلا يكن فما أحب أن يقتل بي بريء، ثم قضى رضوان الله تعالى عليه.

وروى «أبو نعيم» عن سفيان بن عيينة، عن رقة بن مصقلة، قال: لما حُضِرَ «الحسن بن علي» قال: أخرجوني إلى الصحراء، لعلني أنظر في ملكوت السماء، فلما أخرج به قال: اللهم! إني احتسبت نفسي عندك، فإنها أعز الأنفس علي، فكان مِمَّا صنع الله ﷻ له أنه احتسب نفسه.

وقال الذين اتهموا زوجة «الحسن»، «جعدة بنت الأشعث» بتسميمه: إنها فعلت ما فعلت بطلب من «معاوية» ووعده لها بمبلغ من المال، وتزويجه لها من ولده «يزيد»، فلما فعلت، وفى لها بالمال، ولم يَفِ بوعده الزواج.

وذكر الواقدي: أن «معاوية» أوعز إلى بعض خدومه فِدَسَ له السم، أما «أبو الفرج الأصبهاني» صاحب كتاب «الأغاني» فقد ذكر أن «معاوية» حَرَّضَ زوجة «الحسن»، «جعدة بنت الأشعث» على ذلك مقابل مال، كما أنه وعدها بأن يزوجه من ابنه «يزيد»، ووفى لها بالمال فقط.

غير أن «السيوطي» وهو الإمام الجليل القادر على التمييز بين غَثِّ الروايات وسمينها، ذكر في «تاريخ الخلفاء» ما نصه:

توفي «الحسن» ﷺ بالمدينة مسموماً، سمته زوجته «جعدة بنت الأشعث بن قيس» دَسَّ إليها «يزيد بن معاوية» أن تسمه فيتزوجه، ففعلت، فلما مات «الحسن» بعثت إلى «يزيد» تسأله الوفاء بما وعدها، فقال: إنا لم نَرَضِكِ للحسن، أفترضاك لأنفسنا؟

وكانت وفاته سنة تسع وأربعين، وقيل: في خامس ربيع الأول سنة

خمسين، وقيل: سنة إحدى وخمسين.

وَجَهَدَ به أخوه أن يخبره بمن سقاه، فلم يخبره، وقال: الله أشد نعمة إن كان الذي أظن، وإلا فلا يقتل بي والله بريء!.

هذا ما ذكره «السيوطي» دون تشكيك أو تحفظ، والله أعلم.

وإذا صَحَّ أن «يزيد» كان قد وعدها بالزواج بعد قتل زوجها «الحسن» عليه السلام فلما فعلت حث بوعده لها، فإنه يكون بذلك قد جازاها على عظيم جرمها، وقبيح خيانتها، ولعلَّه عَلِمَ أن التي تقدم على سَمِّ بعلها «الحسن بن علي» ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، المعروف أنه سيد شباب أهل الجنة، لن تتورع عن قتل أي إنسان سواه، فخشي «يزيد» على نفسه من أن تمكر به تلك الخائنة، ووجد أن خلفه لوعدها يمنحه السلامة، فكانت أهلاً لخسران الدنيا والآخرة، ويا له من خسران مبين! وجاء في «الطيوريات» عن سليم بن عيسى قارئ أهل الكوفة، قال: لما حضرت «الحسن» الوفاة جزع، فقال له «الحسين»، يا أخي، ما هذا الجزع؟ إنك ترد على رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى «علي» وهما أبواك، وعلى «خديجة» و«فاطمة» وهما أمّاك، وعلى «القاسم» و«الطاهر» وهما خالاك، وعلى «حمزة» و«جعفر» وهما عمّاك.

فقال له «الحسن»: أي أخي! إني داخل في أمر من أمر الله تعالى، لم أدخل في مثله، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثله قط^(١).

وكان «الحسن» و«الحسين» و«عبد الله بن جعفر» يتنافسون في الكرم، فخرجوا ذات مرة حَجَّاجاً، فلما كانوا بين الطريق جاعوا وعطشوا وقد فاتهم أثقالهم، فنظروا إلى خباء فقصدوه فإذا فيه عجوز، فقالوا: هل من شراب؟ فقالت: نعم، فأناخوا بها، وليس عندها إلا شويهة، فقالت: احلبوها واشربوا لبنها، ففعلوا ذلك، فقالوا لها: هل من طعام؟ قالت: هذه الشويهة، ما عندي غيرها، فأنا أقسم عليكم بالله إلا ما ذبحها أحدكم، حتى أهيب لكم الحطب، فاشووها واكلوا، ففعلوا ذلك، وأقاموا عندها حتى أبردوا - أي: دخلوا في آخر

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ١٧٠.

النهار - فلما ارتحلوا من عندها، قالوا لها: يا هذه! نحن نفر من قريش، نريد هذا الوجه، فإذا رجعنا سالمين، فألمّي بنا، فإننا صانعون بك خيراً، إن شاء الله تعالى، ثم ارتحلوا.

وأقبل زوجها، فأخبرته الخبر، فغضب، وقال: ويحك! تذبحين شاتنا لقوم لا نعرفهم، ثم تقولين: نفر من قريش.

وبعد زمن، أصابت المرأة زوجها سَنَةً - جَذِبَ وقحط - فاضطرتهم الحاجة إلى دخول المدينة، فدخلوا يلتقطان البَعَرَ، فمرّت العجوز في بعض سكك المدينة، ومعها مكلتها تلتقط فيه البعر، و«الحسن» عليه السلام جالس على باب داره، فنظر إليها فعرفها، فناداها، وقال لها: يا أمة الله! هل تعرفيني؟ فقالت: لا، فقال: أنا أحد ضيوفك يوم كذا، سنة كذا، في المنزل الفلاني، فقالت: بأبي أنت وأمي! لست أعرفك، قال: فإن لم تعرفيني، فأنا أعرفك، فأمر غلامه فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة وأعطها ألف دينار، وبعث بها مع غلامه إلى أخيه «الحسين» عليه السلام.

فلما دخل بها الغلام على أخيه «الحسين» عرفها، وقال: بكم وصلها أخي «الحسن»؟ فأخبره، فأمر لها بمثل ذلك، ثم بعث بها مع الغلام إلى «عبد الله بن جعفر» عليه السلام، فقال: والله! لو بدأت بي لأتعبتهما، وأمر لها بألفي شاة وألفي دينار، فرجعت وهي من أغنى الناس.

ولما لامه بعض أصحابه على كثرة إنفاقه، قال: إن الله تعالى عودني عادة أن يفيض عليّ نعمه، وعودته أن أفيض على الناس، فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعني العادة.

وأخرج «السيوطي» عن البيهقي، وابن عساكر، عن طريق ابن المنذر، هشام بن محمد، عن أبيه، قال: أضاق «الحسن بن علي» وكان عطاؤه في كل سنة مائة ألف، فحبسها عنه «معاوية» في إحدى السنين، فأضاق إضاقة شديدة، قال: فدعوتُ بداوة لأكتب إلى «معاوية» لأذكره نفسي، ثم أمسكت، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقال: «كيف أنت يا حسن؟!» فقلت: بخير يا أبت! وشكوتُ إليه تأخر المال عني، فقال: «أدعوتُ بداوة لتكتب إلى مخلوق مثلك

تذكره ذلك؟» فقلت: نعم، يا رسول الله! فكيف أصنع؟ فقال: «قل: اللهم! اقذف في قلبي رجاءك، واقطع رجائي عن سواك، حتى لا أرجو أحداً غيرك، اللهم! وما ضَعُفَتْ عنه قوتي، وقصر عنه عملي، ولم تنته إليه رغبتني، ولم تبلغه مسألتي، ولم يجر على لساني مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين، فحُصِّنِي به يا رب العالمين!» قال: فوالله! ما ألححتُ به أسبوعاً حتى بعث إليَّ «معاوية» بألف ألف وخمسمائة ألف، فقلت: الحمد لله الذي لا ينسى مَنْ ذكره، ولا يُخَيِّب من دعاءه، فرأيت النبي ﷺ، فقال: «يا حسن! كيف أنت؟» فقلت: بخير يا رسول الله! وحدثته بحديثي، فقال: «يا بني! هكذا من رجا الخالق، ولم يَرْجُ المخلوق»^(١).

رحم الله الحسن والحسين وأباهما وأمهما وجدتهما رحمة واسعة، وجمعني بهم على حوض المصطفى، لأحظى بشربة واحدة هنيئة مرئية وكفى!

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ١٧٠.